

## التدبير النبوي لالتقاء الفتن ورحيل النبي الأكرم

للأمر الإلهي الشريف: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وبيّن بعد انتهاء التنصيب ومراسم البيعة أنّ في ذلك إكمالاً للدين وإتماماً للنعمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٣)</sup>.

٢ - بيان المقام المعنوي لأهل البيت (عليه السلام):

حيث عمل النبي (عليه السلام) على استثمار مشاعر المسلمين اتجاهه، وتقديرهم وتقديسهم لشخصيته العظيمة، من أجل تحصين بيت الخلافة بكل أفرادهم من مشاعر الحسد والعداء، مؤيداً ذلك بالوحي الإلهي في جملة من المواضع: نذكر منها قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٤)</sup>.

ومنها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٥)</sup>.

كذلك إنه (عليه السلام) اختار من المسلمين للمباهلة أربعة أشخاص فقط... وهؤلاء الأربعة لم يكونوا سوى علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (عليه السلام) والحسن والحسين. لأنه لم

أولاً: إعلان البراءة من المشركين في الحج.

حيث أراد من خلال ذلك استئصال كل معالم الشرك من مكة المكرمة ومن مراسم الحج. إذ إنه «استدعى علياً (عليه السلام)، ثم قال: اركب ناقتي العضبَاء والحق أبا بكر فخذ براءة (سورة براءة) من يده، وامض بها إلى مكة وانبذ بها عهد المشركين إليهم. أي: اقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى أنحاء الجزيرة العربية براءة، وبلغهم النقاط الأربع التالية:

- ١ - أن لا يدخل المسجد مشركاً.
- ٢ - أن لا يطوف بالبيت عريان.
- ٣ - أن لا يحج بعد العام مشرك.
- ٤ - أن من كان له عند رسول الله من المشركين عهد فهو له إلى مدته، ومن لم يكن له عهد ومدّة من المشركين فالإلى أربعة أشهر. فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه، وذلك من العاشر من ذي الحجة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: منع الاختلاف على خلافته: وفي سبيل تحقيق هذا الأمر، قام (عليه السلام) بما يلي:

- ١ - تنصيب أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) في غدير خم يوم الخميس في الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام في العام العاشر للهجرة. وقد أعلن (عليه السلام) أنّ ذلك كان امتثالاً

### محاور الموضوع الرئيسية:

- التدابير النبوية لالتقاء الفتن.
- منع الاختلاف على الخلافة.
- بيان المقام المعنوي لأهل البيت (عليه السلام).

الهدف: هو تنزيه الله ورسوله عن ترك الأمة نهياً للفتن بعد رحيل الرسول (عليه السلام) وبيان الحكمة النبوية والإلهية في التدابير التي قام بها (عليه السلام).

### تصدير الموضوع:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

(١) المائدة: ٣.

### التدابير النبوية لالتقاء الفتن

عند نهاية العام التاسع للهجرة النبوية الشريفة وقرب رحلة النبي (عليه السلام) من نهايتها، ركّز (عليه السلام) جهوده مؤيداً بالوحي الإلهي، في سبيل تخليص الأمة من عوامل الفتنة.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام (عليه السلام) بوضع خطة سديدة، وقد نفذها على مدى ستة عشر شهراً، ومن الإجراءات التي قام (عليه السلام) بتنفيذها:

## إليه يصعد الكلم الطيب

يكن بين المسلمين من هو أطهر منهم نفوساً، ولا أقوى وأعمق إيماناً. وعن عائشة أن رسول الله ﷺ خرج (يوم المباهلة) وعليه مرط (كساء) مرّجّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم علي. ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»<sup>(٦)</sup>. وهذه الحادثة كما كانت تديراً لدرء فتنة مواجهة المناوئين للخلفاء الشرعيين وبقية النبي ﷺ في أمته، كذلك كانت تديراً لدرء فتنة الأديان الأخرى وأتباعها عن التأثير بالإسلام والمسلمين بعد رحيل النبي ﷺ.

٣ - عندما كان يقاسي ألم المرض الذي ودّع الدنيا على أثره - وفي حضرة نخبة كبيرة من الصحابة - قال ﷺ: «إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده». فقال قائل: إن رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله فتنازع القوم بين مؤيد ومعارض، فغضب ﷺ، وقال: قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع»<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن عباس بعد نقل هذه الواقعة المؤلمة: «الرزية كل الرزية ما

حال بيننا وبين كتاب رسول الله»<sup>(٨)</sup>. ٤ - سرية أسامة، والتي جهّزها في أواخر أيام حياته، وزجّ فيها بجميع الشخصيات التي يتوقع منها مناوئة علي ﷺ ومعارضته، من توطيد الأمور ومنع الاختلاف بعد رحيله المؤلم.

ولكن هذه السرية لم يكتب لها الانطلاق بهؤلاء المذكورين، بسبب تخلفهم عن السرية، وقد نقلت الكثير من المصادر عنه ﷺ ذمّه لمن تخلف عن جيش أسامة<sup>(٩)</sup>.

وقد كان أمر خلافته والتنازع عليها أكثر ما يؤرق النبي ﷺ، فقام بكل ما يمكن أن يمنع هذا التنازع، حتى يُعذر عند ربه تعالى، ويلقي الحجة بذلك على جميع المسلمين.

### نهاية الرحلة:

سأل كعب الأحبار عمر بن الخطاب بعد وفاة النبي ﷺ وفي أيام خلافة عمر، ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ، فقال عمر: سل علياً، فسأل علياً ﷺ، فقال أمير المؤمنين ﷺ: «أسندته إلى صدري، فوضع رأسه على منكبي، فقال: الصلاة، الصلاة».

فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء، وبه أمروا، وعليه

يبعثون»<sup>(١٠)</sup>.

وقد توفي ﷺ على ما اتفقت عليه كلمة محدثي الشيعة ومؤرخيهم - في منتصف يوم الإثنين، الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة الحادية عشرة للهجرة<sup>(١١)</sup>.

ثم غسله علي ﷺ؛ ولما فرغ من تكفينه فكّ الإزار عن وجهه، وقال - والدموع تنهمر من عينيه الشريفتين:-

«بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأنبياء. ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع، لأنفذنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء ممطلاً، والكمد محالفاً وقلاً لك، ولكنه ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه».

بأبي أنت وأمي، أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك»<sup>(١٢)</sup>.

ثم صلى عليه أمير المؤمنين ﷺ أولاً، وبعد ذلك صلى عليه المسلمون جماعة جماعة. ثم دفنه ﷺ في قبر حفره في حجرته أبو عبيدة بن الجراح وزيد بن سهل، وعاونوه في دفنه الفضل والعباس.

فسلام الله عليه وعلى آله يوم ولد ويوم عُرج بروحه ويوم يُبعث حياً.

### الهوامش

ومسند أحمد وطبقات ابن سعد والملل والنحل للشهرستاني.  
(٩) الملل والنحل، ص ٢٣.  
(١٠) طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٢٦٢.  
(١١) ونقل ذلك في السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٦٥٨.  
(١٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢٥.

(٦) الكشف للزمخشري، ج ١، ص ٢٨٢، ٢٨٣ والفخر الرازي في مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٤٧١ و٤٧٢. وابن الأثير في الكامل، ج ٢، ص ١١٢.  
(٧) الملل والنحل للشهرستاني، ج ١، ص ٢٢.  
(٨) صحيح البخاري، كتاب العلم، ج ١، ص ٢٢، ٢٣، ٢٤. وصحيح مسلم، ج ٢، ص ١٤

(١) الكافي، للكليني، ج ٢، ص ٢٦٦، بتلخيص.  
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.  
(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.  
(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٢.  
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.